



ازمات اسرائيل

من حق العرب ان يشعروا بالقلق، بالاضافة الى الاشمئزاز والقرع، بعد انتخاب أرييل شارون رئيساً للحكومة في اسرائيل. ولكن هل من الضروري ان نضيف الى هذه المشاعر، المبررة ولا شك، سوء الفهم في مقاربة معاني الانتخابات الاسرائيلية وخطأ التقدير في استشراف مفاعيلها؟ قد يقول قائل ان نتائج الانتخابات ملزمة حتى للمحللين، وانه لم يعد مهماً تالياً التوقف عند الاسباب التي أدت اليها. يمكن، ولكن ما هي تلك النتائج التي يجب اخذها في الاعتبار؟ أن شارون بات في قمة هرم القرار في اسرائيل؟ صحيح مئة في المئة. أنه يملك ان يوجّه سياستها ومن خلالها سياسة الشرق الاوسط برمته؟

صحيح في الاجمال، انما مع الكثير من التحفظات - العوائق، ليس اقلها ان المهلة المتاحة امامه قد تكون اقصر بكثير مما يلزمه كي يترك اثرأ. أنه سينتشل اسرائيل من ازمة مستديمة؟ خطأ على الارجح. أن افق التسوية السلمية ولى الى غير رجعة؟ خطأ شبه مؤكد. أن مفاعيل اوسلو انتهت؟ خطأ بالكامل، فالشعب الفلسطيني على ارضه يقاوم، مسنوداً بقيادته المقيمة على ارض الوطن للمرة الاولى منذ ١٩٤٨، ومسلحاً ب"شرطة" من الفدائيين العائدين. أن وجود صقر الصقور في سدة الحكم يهدد الامن العربي؟ صحيح ربما، ولكن ليس بالمقدار الذي يصح فيه اعتبار وصول هذا العسكري الانقلابي المتهور الى رئاسة الحكومة اهتزازاً للامن... الاسرائيلي! بتعبير مختصر، ان انتصار شارون عنوان لازمة اسرائيلية قبل ان تكون عربية.

بطبيعة الحال، استطغى في الايام الاولى نشوة الجديد في اسرائيل، خصوصاً مع ازدهار الاوهام حول قدرة الرجل على تغيير صورته. كما ستغلب في العالم، وربما ايضاً في العواصم العربية، النزعة الدبلوماسية الى الترقب الحذر، تحت بند اعطاء الفرصة وامتحان النيات. غير انه لن يمضي وقت طويل قبل ان تعود الى التفاعل العوامل نفسها التي اودت بسلفي شارون المتعاقبين في اقل من سنتين، وثفاقها اخرى خاصة بشخصية "ملك" اليمين الاسرائيلي الجديد، فتزعزع حكومته المقبلة، اياً تكن تشكيلتها.

فهناك اولاً العامل المؤسساتي الكامن في الطابع الفيسفاسائي للكنيست بفعل القانون الانتخابي والتركيبة السوسولوجية المعقدة للمجتمع الاسرائيلي الذي يتراجع عاماً بعد عام عن صورة المجتمع الجديد الواحد الموحد والموحد التي صاغها المشروع الصهيوني الاصلي حتى بات اشبه بمجموعة من القطاعات المتنافرة لكل منها حساسيته ومصالحه... روزنامته الانتخابية. وعليه، لا ضمان امام شارون لديمومة الاكثريّة النيابية التي سيرتكز عليها، اياً تكن.

ولا حاجة حتى الى التناقضات المتصلة بالتسوية السلمية كي تتشظى هذه الاكثريّة. فعند الاسرائيليين ما يكفي من الانانيات القطاعية "الداخلية". وهناك ثانياً ازمة القيادة التي عبرت عنها بشكل صارخ النسبة غير المسبوقة للممتنعين عن الاقتراع، وهي نسبة تخفف كثيراً في ذاتها من حجم انتصار شارون، اذ لم يقترح له في النهاية اكثر من ثلث الجسم الانتخابي.

كما تتجلى ازمة القيادة في التبدل المتواتر لرؤساء الحكومة، وبشكل اكثر تحديداً في عجز الجيل الثالث من السياسيين الاسرائيليين (جيل الذين لم يشاركوا في حرب ١٩٤٨ مثل بنيامين نتياهو



وايهود باراك) عن انتاج قادة يمتلكون صدقية قادرة على الصمود امام لحظات التوتر الراهنة. والمهم، في ما يتعلق بشارون ومستقبله القريب، ان غياب القيادات التي لا جدال فيها (كما يستدل من رقصة شمعون بيريس داخل حزب العمل ومناورات ننتياهو في صفوف "الليكود" خلال الحملة الانتخابية) يفتح المجال واسعاً امام تبادل ضرب السكاكين في كل من المعسكرين الكبيرين كما في الاحزاب الصغيرة.

ومحصلة هاتين الظاهرتين ترهّل ميكر للمجتمع السياسي الاسرائيلي، يذكر بنظرية ابن خلدون في تقادم الدول، اي ان اسرائيل باتت امام ازمة بنوية تكاد تعطل التفوق الذي سجلته في المجال الاستراتيجي على جيرانها كلهم. والاصعب بالنسبة اليها انها مضطرة الى ان تواجه، وهي في هذه الحال من الترهّل، الفتوة المتجددة للوطنية الفلسطينية، مما ساهم الى حد بعيد حتى الآن في التخفيف من اختلال ميزان القوى الرهيب بين الشعبين. واذا اضفنا الى ذلك ان المجتمع الاسرائيلي نفسه الذي اوصل شارون الى رئاسة الحكومة، كان مستعداً لاعطاء اصواته الى بيريس، اي نقيضه من حيث التوجه الايديولوجي ان لم يكن السياسي، وان استطلاعات الرأي ظلت تفيد عن وجود شبه اكثرية يهودية تؤيد التسوية واقامة الدولة الفلسطينية - ادركنا مدى التخبط النفسي عند الناخب الاسرائيلي، ورغبته، قبل اي شيء آخر، في محاسبة مسؤوليه على عدم قدرتهم على اخراجه من هذا التخبط، فيما لم يعد يستطيع ان ينفذه منه غير... الفلسطينيين.

هذا طبعاً ما لن يفعله الفلسطينيون الا بالسعر الكامل، وهو الذي لن يدفعه شارون، وانما قد يدفعه من يخلفه، واسرع بكثير مما يوحيه انتصار الرفض مع شارون.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000443	
Media	(Support)	HC
Title		ازمات اسرائيل
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٢/٩ 9/2/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اريبيل.شارون - شمعون بيريس - بنيامين نتنياهو - ايهود باراك
	Locations	فلسطين - اسرائيل - شرق.أوسط
	Dates	١٩٤٨
	Themes	عرب - اسرائيل - اريبيل.شارون - مشروع.صهيوني - حزب.عمل.ليكود - رئاسة.حكومة - ازمة.اسرائيلية - انتخابات.اسرائيلية - فلسطين - "اليمين" - انتصار.شارون - تسوية.سلمية - توجه.ايدولوجي - شرق.أوسط - يمين.اسرائيلي - حرب.١٩٤٨
Subject		من حق العرب أن يشعروا بالقلق، بالإضافة إلى الإشمزاز والقرف، بعد انتخاب اريبيل شارون رئيساً للحكومة في اسرائيل. ولكن هل من الضروري أن نضيف إلى هذه المشاعر، المبررة، سوء الفهم في مقارنة معاني الإنتخابات الإسرائيلية وخطأ التقدير في استشراف مفاعيلها؟ وما هي النتائج التي يجب أخذها في الإعتبار؟